تفسير ابن كثير

يقول تعالى : اذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم إذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب أي خلصتكم منهم وأنقذتكم من أيديهم صحبة موسى عليه السلامن وقد كانوا يسومونكم أي يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم سوء العذاب وذلك أن فرعون لعنه ا كان قد رأي رؤيا هالته رأى نارا خرجت من بيت المقدس فدخلت بيوت القبط ببلاد مصر إلا بيوت بني إسرائيل مضمونها أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني إسرائيل ويقال بعد تحدث سماره عنده بأن بني إسرائيل يتوقعون خروج رجل منهم يكون لهم به دولة ورفعة وهكذا جاء في حديث الفتون كما سيأتي في موضعه في سورة طه إن شاء ا تعالى فعند ذلك أمر فرعون لعنه ا بقتل كل ذكر يولد بعد ذلك من بني إسرائيل وأن تترك البنات وأمر باستعمال بني إسرائيل في مشاق الأعمال وأرذلها ههنا فسر العذاب بذبح الأبناء وفي سورة إبراهيم عطف عليه كما قال : { يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم } وسيأتي تفسير ذلك في أول سورة القصص إن شاء ا تعالى به الثقة والمعونة والتأييد ومعنى يسومونكم يولونكم قاله أبو عبيدة كما يقال سامه خطة خسف إذا أولاه إياها قال عمرو بن كلثوم : .

(إذا ما الملك سام الناس خسفا ... أبينا أن نقر الخسف فينا) .

وقيل معناه : يديمون عذابكم كما يقال سائمة الغنم من إدامتها الرعي نقله القرطبي وإنما قال ههنا : { يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم } ليكون ذلك تفسيرا للنعمة عليهم في قوله : { يسومونكم سوء العذاب } ثم فسره بهذا لقوله ههنا : { اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم } وأما في سورة إبراهيم فلما قال : { وذكرهم بأيام ا } أي بأياديه ونعمه عليهم فناسب أن يقول هناك : { يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم } فعطف عليه الذبح ليدل على تعدد النعم والأيادي على بني إسرائيل وفرعون علم على كل من ملك مصر كافرا من العماليق وغيرهم كما أن قيصر علم على كل من ملك الروم مع الشام كافران وكسرى لمن ملك الفرس وتبع لمن ملك اليمن كافرا والنجاشي لمن ملك الحبشة وبطليموس لمن ملك الهند ويقال كان اسم فرعون الذي كان في زمن موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الريان وقيل مصعب بن الريان فكان من سلالة عمليق بن الأود بن إرم بن سام بن نوح وكنيته أبو مرة وأصله فارسي من اصطخر وأيا ما كان فعليه لعنة ا وقوله تعالى : { وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم } قال ابن جرير : وفي الذي فعلنا بكم من إنجائنا آباءكم مما كنتم فيه من عذاب آل فرعون بلاء لكم من ربكم عظيم أي نعمة عظيمة عليكم في ذلك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : قوله تعالى : { بلاء من ربكم عظيم } قال : نعمة وقال مجاهد {

بلاء من ربكم عظيم } قال : نعمة من ربكم عظيمة وكذا قال أبو العالية وأبو مالك والسدي وغيرهم وأصل البلاء الاختبار وقد يكون بالخير والشر كما قال تعالى : { ونبلوكم بالشر والخير فتنة } وقال : { وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون } قال ابن جرير : وأكثر ما يقال في الشر بلوته أبلوه بلاء وفي الخير أبليه إبلاء وبلاء قال زهير بن أبي سلمى : .

(جزى ا بالإحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو) .

قال : فجمع بين اللغتين لأنه أراد فأنعم ا عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده وقيل : المراد بقوله : { وفي ذلكم بلاء } إشارة إلى ما كانوا فيه من العذاب المهين من ذبح الأبناء واستحياء النساء قال القرطبي : وهذا قول الجمهور ولفظه بعد ما حكى القول الأول ثم قال : وقال الجمهور : الإشارة إلى الذبح ونحوه والبلاء ههنا في الشر والمعنى في الذبح مكروه وامتحان وقوله تعالى : { وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون } معناه وبعد أن أنقذناكم من آل فرعون وخرجتم مع موسى عليه السلام خرج فرعون في طلبكم ففرقنا بكم البحر كما أخبر تعالى عن ذلك مفصلا كما سيأتي في مواضعه ومن أبسطها ما في سورة الشعراء إن شاء ا { فأنجيناكم } أي خلصناكم منهم وحجزنا بينكم وبينهم وأغرقناهم وأنتم تنظرون ليكون ذلك أشفى لصدوركم وأبلغ في إهانة عدوكم قال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن أبي إساحق الهمداني عن عمرو بن ميمون الأدوي في قوله تعالى : { وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون } قال : لما خرج موسى ببني إسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال : لا تتبعوهم حتى تصيح الديكة قال : فوا ما صاح ليلتئذ ديك حتى أصبحوا فدعا بشاة فذبحت ثم قال : لا أفرغ من كبدها حتى يجتمع إلي ستمائة ألف من القبط فلما أتى موسى البحر قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع بن نون : أين أمر ربك ؟ قال : أمامك يشير إلى البحر فأقحم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغمر فذهب به الغمر ثم رجع فقال : أين أمر ربك يا موسى ؟ فوا ما كذبت ولا كذبت فعل ذلك ثلاث مرات ثم أوحى ا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطور العظيم يقول مثل الجبل ـ ثم سار موسى ومن معه واتبعهم فرعون في طريقهم حتى إذا تتاموا فيه أطبقه ا عليهم فلذلك قال : { وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون } وكذلك قال غير واحد من السلف كما سيأتي بيانه في موضعه وقد ورد أن هذا اليوم كان يوم عاشوراء كما قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عبد ا بن سعيد بن جبير عن أبيه [عن ابن عباس قال : قدم رسول ا صلى ا عليه وسلّم المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوارء فقال : ما هذا اليوم الذي تصومون ؟ قالوا : هذا يوم صالح هذا يوم نجى ا D فيه بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى عليه السلام فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : أنا أحق

بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأمر بصومه] وروى هذا الحديث البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق عن أيوب السختياني به نحو ما تقدم وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا أبو الربيع حدثنا سلام يعني ابن سليم عن زيد العمي عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : [فلق الله البحر لبني إسرائيل يوم عاشوراء] وهذا ضعيف من هذا الوجه فإن زيدا العمي فيه ضعف وشيخه يزيد الرقاشي أضعف منه